# الأدوار السِّياسيّة في حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام
## (ولاية العهد أنموذجًا)

**الدكتورة زهراء علي دخيل**
**دكتوراه دولة في اللُّغة العربيَة وآدابها، الجامعة اللُّبنانيَة، لبنان**
**profzahraa@gmail.com**

# The Political Roles in the Life of Imam Ali bin Musa Al-Reza, peace be upon him
## (The mandate of the Covenant as a model)

**Dr. Zahraa Ali Dakhil**
**State Ph.D. in Arabic Language and Literature , Lebanese University , Lebanon**

**الملخص:-**

قاد أئمّة أهل البيت عليهم السلام المجتمع الإسلاميّ نحو قيم الخير والفضيلة. وساروا به إلى معارج التقدّم والصّلاح. وسعوا إلى تعليم الأفراد وتربيتهم وفقًا لمبادئ الإسلام ومنهجه.

لقد أسهم الإمام الرضا عليه السلام في ترقية المسلمين، وحلّ مشكلاتهم ومساعدتهم وحثّهم على انتهاج السّبيل القويم المُتمثّل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تعتمد الوسطيّة في الفكر والاعتدال في المواقف.

أدّى الإمام الرضا عليه السلام رسالته في المدينة المنوّرة مُعلّمًا ومرشدًا وإمامًا، وكذا الحال في تولّيه ولاية العهد في ظلّ خلافة المأمون.

**الكلمات المفتاحية:** الإمام الرضا عليه السلام، أهل البيت عليهم السلام، الأدوار السياسية، ولاية العهد، المدينة المنورة، المأمون العباسي.

**Abstract:-**

The Imams of Ahl al-Bayt, peace be upon them, led the Islamic community towards the values of goodness and virtue. And they walked him to the heights of progress and righteousness. They sought to educate and educate individuals in accordance with the principles and approach of Islam. Imam Al-Reza, peace be upon him, contributed to promoting Muslims, solving their problems, helping them, and urging them to follow the right path represented by the Ahl al-Bayt school, peace be upon them, which adopts moderation in thought and moderation in attitudes. Imam al-Reza, peace be upon him, performed his message in the enlightened city of Medina as a teacher, guide, and imam, and the same was the case in his assumption of the mandate of the covenant under the caliphate of al-Ma'mun.

**Key words:** Imam Reza (peace be upon him), Ahl al-Bayt (peace be upon them), political roles, guardianship of the covenant, Medina, al-Ma'mun al-Abbasid.

# المبحث الأول

## منهج أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم وأدوارهم

### أولًا- نظرة علماء الإسلام لأهل البيت عليهم السلام

يُحكى أنّ الشافعي عابه بعض النّاس لفرط ميله إلى أهل البيت، وشدّة محبّته لهم إلى أن نسبه إلى الرفض، فأنشأ الشافعي في ذلك يقول[١]:

يا راكبًا قفْ بالمحصَّب[٢] من مِنى ... واهتف بقاعد خِيفها[٣] والنّاهضِ

سحرًا[٤] إذا فاضَ الحجيجُ إلى مِنى ... فيضًا كملتطم الفراتِ الفائضِ

إنْ كان رفضًا حُبُّ آل محمّدٍ ... فليشهد الثقلان[٥] أنّي رافضي[٦]

وقال الإمام الشافعي مُبيّنًا محبّته لأهل البيت عليهم السلام:

إذا في مجلسٍ نذكر عليًّا ... وسبطيه وفاطمة الزكيَّة

يُقال تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرّافضيّة

برئتُ إلى المهيمن من أُناسٍ ... يرون الرّفض حُبّ الفاطميّة[٧]

لقد أدرك عبد الملك بن مروان صلة مظلوميّة أهل البيت، عليهم السلام، بذهاب ملك الفرع السفياني، وتولّى الفرع المرواني مقاليد السّلطة، فكتب في جوابه عن رسالة للحجاج بن يوسف يقترح فيها قتل علي بن الحسين عليه السلام، حيث قال: "أمّا بعد، فجنبني دماء بني هاشم، واحقنها، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا أولعوا فيها لم يلبثوا إلى أن أزال الله الملك عنهم"[٨].

كان علماء الإسلام يرون أنّ أهل البيت عليهم السلام، يُمثّلون منهج الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّهم القدوة. من هنا، كان ينبغي أن يتولّوا زمام الحكم وسدّة المسؤوليّة. فالذهبي يقول إنّ الإمام الحسن والإمام الحسين والإمام زين العابدين والإمام الباقر كانوا أحقّ بالخلافة وأهلها، "وكذلك جعفر الصادق كبير الشأن من أئمّة العلم كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور، وكان ولده كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون"[٩].

**١ـ الصحابة والتابعون يوالون أهل البيت عليهم السلام:**

كان هناك اعتقاد عند أكثريّة المسلمين أنّ أهل البيت عليهم السلام، يُمثّلون رسالة النبي المصطفى المتّصلة بالسماء. ومن بين هؤلاء، كان أُبي بن كعب، الذي اعتقد بأهل البيت، عليهم السلام، أيّما اعتقاد، حتى إنه مرّ عشيّة يوم بحلقة من الأنصار فسألوه: من أين أتيت؟ قال: من عند أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالوا: على أيّ حال تركتهم؟ فقال: ما يكون حال قوم لم يزل بيتهم محطّ قدم جبرائيل، ومنزل رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى اليوم؟ ثمّ بكى أُبيّ، وبكى الحاضرون[١٠].

لقد كان هناك تيّار من كبار الصحابة، يرى في خطّ أهل البيت، عليهم السلام، امتداداً لمنهج الرسول صلى الله عليه وآله، وسيرته، وفكره، وعطائه. ومن هؤلاء خالد بن سعيد بن العاص الأموي، الذي كان النبي صلى الله عليه وآله، قد أرسله إلى اليمن، وبعد وفاته صلى الله عليه وآله، عاد إلى المدينة، فرفض بيعة أبي بكر سنة كاملة، ولم يُبايع إلّا بعد أن بايع بنو هاشم؛ إذ جاء إليهم فقال: "أنتم الظهر والبطن، والشعار دون الدثار، والعصا دون اللّحا، فإذا رضيتم رضينا، وإذا سخطتم سخطنا. حدّثوني إن كنتم قد بايعتم هذا الرجل، قالوا: نعم، قال: على بردٍ ورضا من جماعتكم؟ قالوا: نعم، قال: فأنا أرضى وأُبايع إذا بايعتم. أما والله يا بني هاشم إنكم الطّوال الشجر الطيب الثّمر"[١١].

قال زيد بن علي، رضوان الله عليه، في بيان دور أهل البيت عليهم السلام، ومكانتهم:

"إنّا كنّا أحقّ النّاس بهذا الأمر، ولكن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه". وقد ذكر معاوية بن يزيد حين قال لأهل الشام: "إنّا قد ابتلينا بكم وابتليتم بنا، وإنّ جدّي معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحقّ فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهنًا بعمله، ثمّ تقلّده أبي ولقد كان غير خليق، فركب ردعه، واستحسن خطأه"[١٢].

يقول الأستاذ محمد الآلوسي: "كان يُعاصر أولئك التافهين المنحرفين شخصيّات فذّة من آل بيت الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، أجمع أهل العلم الموثوق بهم والمؤرّخون المنصفون تواترًا على أنّهم كانوا قممًا في الكمالات زهدًا واستقامةً وحكمةً، وسداد رأي وعبادةً، وعدالةً وكرمًا وإيثارًا، وترفّعًا عن دنايا الأمور، وسائر الصفات الحسنة والفضائل الخلقيّة الأخرى، أمثال علي بن الحسين أحد الناجين القلائل من مذبحة كربلاء وابنه محمد

الباقر؛ وابن الباقر جعفر المعروف بالصادق الفقيه، إلى آخر أولئك الأعلام الذين كانوا للنّاس المعاصرين لهم كمصابيح في اللّيالي المظلمة"(١٣).

في مقابل ذلك، فإنّ من الملاحظ أنّه وُضعت أحاديث عدّة في فضائل الصّحابة، ولعلّ الغاية من ذلك إبعاد أهل البيت، عليهم السلام، عن المشهد السياسيّ، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي الحديد بقوله: "إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أُميّة، تقرّبًا إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم"(١٤).

**٢ـ أهل البيت عليهم السلام: سفينة النجاة ومصدر الإشعاع**

روى المُحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قوله: "إنّما مثل أهل بيتي في أُمّتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق"(١٥).

وقد علّق على هذا الحديث ابن حجر، قائلًا: "ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم؛ شكرًا لنعمة مشرّفهم، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك، غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان"(١٦).

كلما ظلم بنو أميّة، واستبدّوا، واستأثروا وتقاتلوا على الملك؛ كان ذلك بوصفه خدمةً منهم لأهل البيت وترويجًا لأمرهم، وعطفًا للقلوب عليهم، وكلّما شدّدوا بالضّغط على شيعتهم ومواليهم، وأعلنوا على منابرهم سبّ عليّ، وكتمان فضائله وتحريرها إلى مثالب، انعكس الأمر وصار ردّ فعل عليهم، وفي هذا يقول الشعبي لولده: "يا بني، ما بنى الدين شيئًا إلّا وهدمته الدنيا، وما بنت الدنيا شيئًا إلّا وهدمه الدين. انظر إلى علي وأولاده، فإنّ بني أميّة لم يزالوا يجهدون في كتم فضائلهم، وإخفاء أمرهم وكأنما يأخذون بضبعهم إلى السماء، وما زالوا يبذلون مساعيهم في نشر فضائل أسلافهم وكأنما ينشرون منهم جيفة". وكان الشعبي يُتّهم ببُغض علي، وكان يقول: "ما لقينا من علي، إن أحببناه قُتلنا، وإن بغضناه هلكنا"(١٧).

يقول عبد الكريم الخطيب، مؤسس حزب العدالة والتنمية-المغرب، "والحقّ أنّ آل البيت قد امتحنوا امتحانًا قاسيًا في الحياة، وكان من حقّهم على المسلمين أن يكونوا بالمكان الذي يلقون فيه المودّة الخالصة، والحبّ الصادق، والولاء المكين،... فهم آل بيت النبوّة،

ومن بينهم طلع الهدى الذي أخرج النّاس من الظلمات إلى النور، وبلغ بالعرب ما هم فيه من دولة، وملك، وسلطان، أفيكون ذلك جزاء أهله، وبعض ولده؟!

والحقّ أيضًا أنّ تلك الأحداث المؤلمة المؤسفة التي نزلت بآل البيت كانت نضيح أحقاد جاهليّة، ومنزع عصبيّات وثارات لم يقتلع الإسلام جذورها من الصدور، فما هي إلّا أن أخلى الرسول مكانه حتى تحرّكت تلك الأحقاد، ورمت بشررها من قريب وبعيد"[١٨].

## ثانياً: أهل البيت عليهم السلام: عصمتهم، منهجهم

### ١ـ عصمة أهل البيت عليهم السلام:

إنّ المعصومين نتيجةً للرعاية الإلهيّة وأعمالهم الطاهرة لا يقدمون على المعصية مع امتلاكهم القدرة والاختيار في إتيانها، تمامًا كما لا نرى عاقلًا يرفع جمرة من النّار ويضعها في فمه، مع أنّه غير مجبر ولا مكره على الامتناع عن ذلك العمل، فهذه الحالة تنبعث من أعماق وجود الإنسان نتيجة المعلومات والاطّلاع والمبادئ الفطريّة والطبيعيّة، من دون أن يكون في الأمر جبر وإكراه[١٩].

وذُكِر في تعريف العصمة أنّها "مَلَكة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها"[٢٠].

والعصمة عبارة عن قوّة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرًا على المعاصي كلّها. وليس معنى العصمة أنّ الله يجبره على ترك المعصية؛ بل يفعل به ألطافًا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها، مثل قوّة العقل وكمال الفطنة والذّكاء ونهاية صفاء النّفس؛ وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى[٢١].

بذلك، فإنّ العصمة هي عاصم نفسي يقوم مقام الرقيب الذي ينبّه صاحبه إلى أنه يوشك أن يشذّ عن الطريق كلّما حدّثته نفسه بالانحراف.

إنّ المنابع التي تستمدّ منها هذه الكلمة قوتها هي وعيه التام لما في الطاعة والاستقامة من حُسنٍ وصلاح ولما في المعصية من عيوبٍ مآخذ. ولكي يكون الإمام المعصوم رمزًا حيًّا للشريعة التي يمثّلها، ومثلًا أعلى لهؤلاء الذين يحكمهم وجب عليه أن يأخذ نفسه بالسّير على أولى الأمور وأهداها، وأكثرها استقامة وصلاحاً[٢٢].

**٢ـ منهج أهل البيت عليهم السلام:**

يقول الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا، وكلام أوّلنا مصدّق لكلام آخرنا. وإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه، وقولوا أنت أعلم بما جئت به، فإنّ مع كل قولٍ منّا حقيقة، وعليه نور، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه، فذلك قول الشيطان".

لقد انتهج أئمّة أهل البيت عليهم السلام، منهج الاعتدال والوسطيّة، والتوسُّط في الأمور والقضايا، وقد واجهوا المتطرّفين والغلاة وذمّوا بعضهم، من هنا، قال الإمام جعفر الصادق، عليه السلام: "فو الله ما نحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرٍّ ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذّبنا فبذنوبنا. والله، ما لنا على الله من حُجّة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميتون مقبورون؛ ومُنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون"(٢٣).

تُشير بعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت، عليهم السلام، إلى أنّ منشأ الغلو يعود إلى خصوم أهل البيت الذين بالغوا في إيذائهم عبر وسائل عدّة. ففي حديث الإمام علي الرضا عليه السلام، لإبراهيم بن أبي محمود، ندرك مدى تأثّر الإمام وتنبيهه لدوافع هؤلاء، حيث قال له: "إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلوّ، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا. فإذا سمع النّاس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢٤)(٢٥).

يرى بعض الباحثين أنّ تلك العقائد المسرفة في الغيبيّة والتي كان للخيال فيها أوفر نصيب فإنّ تفسيرها أنّ اغتصاب الأئمّة حقّهم-كما يعتقد الشيعة-واضطهادهم مع علوّ مكانتهم بانتسابهم للنبي، كلّ ذلك أتاح للخيال أن يُعوّض الواقع الأليم، فكان لا بُدّ أن تكون منزلة الأئمّة ليست فقط أسمى من منزلة أعدائهم؛ وإنّما يشتط الخيال فيعوّضهم بالسُّلطان الروحي ما فقدوه من سلطةٍ زمنيّة، فتكون لهم مملكة الباطن في مقابل مملكة الظاهر لأعدائهم، فلا يتمّ مراد الله في الأرض إلّا ويسبق علم الأئمّة به، ولا يصير الحكم مبرمًا من الله حتى يطلعهم عليه وتوافق مشيئتهم مشيئته، وهكذا أمكن إشباع الخيال والتنفيس عن غضب النفوس بتخيّل الأئمّة يملكون الأرض وما عليها؛ لأنّهم في الواقع ما

ملكوا ولا حكموا؛ إلّا مدّة غير مستقرّة لعليّ.[٢٦]

إنّ التأمُّل والتدبُّر في الأبعاد العظيمة لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٧]؛ يدو إلى التفات أنظار المؤمنين إلى حقائق عدّة؛ يجب أخذها في الحسبان في تعاملهم مع الآخرين:

- إنّ كلّ أمّة أو جماعة لها مبدأ فإنّها تعتقد بقداسته وإن كان باطلًا في نظر الآخرين ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٨].
- إنّ الدنيا دار حريّة واختيار للإنسان، وهو مسؤول أمام ربّه غدًا يوم القيامة، ولا يحقّ لأحدٍ في الدنيا أن يفتش عقائد الإنسان ويحاكمهم على أديانهم.
- إنّ أيّ فعل تجاه الآخرين يُسبّب ردّة فعل من نوعه وجنسه. فإذا كان المسلمون حريصين على احترام دينهم ومُقدّساتهم، فعليهم أن يحترموا أديان الآخرين ومُقدّساتهم في ظاهر التعامل معهم؛ وإلّا فليتوقّعوا الإهانة لمعتقداتهم حينما يسبّون معتقدات الآخرين[٢٩].

ينتمي أتباع أهل البيت عليهم السلام، إلى مختلف البلاد الإسلاميّة؛ إذ وصلت رسالتهم إلى أغلب أقطار العالم الإسلاميّ، وقد انضمّ هؤلاء إلى تلك المدرسة نظرًا إلى مكانة الأئمّة عليهم السلام، لدى المسلمين جميعًا، وكونهم القدوة، وبسبب المنهج الذي تبنّاه الأئمّة عليهم السلام، المُتمثّل بالدعوة إلى نشر قيم الخير والفضيلة والصّلاح.

في هذا السياق، يقول أبو الربيع الشامي، دخلت على الإمام الصادق عليه السلام، والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعًا أقعد فيه فجلس أبو عبد الله عليه السلام، وكان متّكئًا، ثم قال: "يا شيعة آل محمد، اعلموا أنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يُحسن صحبة من صحبه، ومُخالفة من خالفه، ومُرافقة من رافقه، ومُجاورة من جاوره، ومُمالحة من مالحه، يا شيعة آل محمد، اتّقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله"[٣٠].

من جانب آخر، وجّه أئمّة أهل البيت عليهم السلام، شيعتهم للابتعاد عن الحكام الظالمين، وعدم التقرُّب منهم، أو اللّجوء إلى محاكمهم، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قوله:

إيّاكم أن يُحاكم بعضكم بعضًا إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئًا من قضايانا فاجعلوه بينكم، فإنّي قد جعلته قاضيًا فتحاكموا إليه"[٣١].

كان الأئمّة عليهم السلام، يفكرون في أن يقدموا الإسلام لمجموع الأُمّة الإسلاميّة، وأن يكونوا أطروحة، ومثلًا أعلى؛ إذ كانوا عليهم السلام، يعملون على خطّين: خط بناء المسلمين الشيعيّين الصالحين، وخط ضرب المثل الأعلى لمجموع المسلمين بقطع النظر عن كونهم شيعة أو سُنّة[٣٢].

لقد حرص الأئمّة على ضرورة التوفّر على عملين:

أحدهما: العمل من أجل بناء القواعد الشعبيّة الواعية التي تُهيّئ أرضيّة صالحة لتسلّم السّلطة.

والآخر: تحريك ضمير الأمّة الإسلاميّة وإرادتها، والاحتفاظ بالضمير الإسلاميّ والإرادة الإسلاميّة، بدرجةٍ من الصلابة تحصّن الأمّة ضدّ التنازل المطلق عن شخصيّتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الأول هو الذي مارسه الأئمة بأنفسهم، والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويّون كانوا يحاولون بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا على الضمير الإسلاميّ والإرادة الإسلاميّة، وكان الأئمّة عليهم السلام، يسندون المخلصين منهم[٣٣].

## المبحث الثاني

## الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

### ١ـ الإمام الرضا عليه السلام: ينبوع المعارف

يشير عبد السلام الهروي إلى سعة علوم الإمام الرضا عليه السلام، حيث كان مرافقًا له، فقال:

"ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ما رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له عددًا من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي منهم أحد إلّا أقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور، ولقد سمعته يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء في المدينة؛ فإذا عيّ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إلى بأجمعهم، وبعثوا إلى المسألة فأُجيب عنها...".[٣٤].

قد أورد بعض الباحثين وصفًا للإمام الرضا عليه السلام؛ إذ كان في أزهى عصور الحضارة الإسلاميّة فقد عاصر المأمون حقبة، وكان له في مجالسه العلميّة، ونشاطه الفكريّ نصيب عظيم، وكان المأمون يخصّه بعقد المناظرات، ويجمع له العلماء والفقهاء والمتكلّمين من جميع الأديان فيسألون فيجيب الواحد تلو الآخر حتى لا يبدي أحدًا منهم إلّا الاعتراف له بالفضل؛ ويقرّ على نفسه بالقصور أمامه(٣٥).

عن أبي الصلت، قال: كنت مع علي بن موسى الرضا ودخل نيسابور راكبًا بلغة شهباء، فعدا في طلبه علماء البلد-ياسين بن النضر وأحمد بن حرب ويحيى بن يحيى، وعدد من أهل العلم-فتعلّقوا بلجامه في المربع، فقالوا: بحقّ آبائك الطاهرين، حدّثنا بحديث سمعته من أبيك، قال: حدّثني أبي العدل الصالح موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي الصادق جعفر بن محمد، قال: حدّثني أبي أبو جعفر باقر العلم علم الأنبياء، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين سيد العابدين، قال: حدّثني أبي سيد أهل الجنّة الحسين، قال: حدّثني أبي سيّد العرب علي بن أبي طالب؛ رضوان الله عليهم، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله: ما الإيمان؟ قال: معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان. قال أبو علي: قال لي أحمد بن حنبل: إن قرأت هذا الإسناد على مجنون بَرِئَ من جنونه(٣٦).

**٢ـ الإمام الرضا وولاية العهد: ملابسات ونتائج**

تشير بعض النصوص إلى أنّ فكرة التشيُّع لأهل البيت عليهم السلام، تسرّبت إلى المأمون في وقت مبكرٍ من حياته، إثر دخول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، على هارون الرشيد في المدينة، فأكرمه وأجلّه وأعظمه.

فسأله ولده المأمون الذي كان حاضرًا بعد انفضاض المجلس عنه، وعن سبب إجلاله له وإكرامه، فقال له الرشيد: هذا إمام النّاس وحجّته على خلقه، وهو أحقّ بمقام رسول الله منّي، ومن الخلق جميعًا. ثمّ قال له: والله، لو نازعتني أنت هذا الأمر لأخذت الذي في عيناك(٣٧).

يرى بعض الباحثين أنّ المأمون كان في تصرُّفه هذا صادقًا وجادًّا؛ إذ كانت له ميول شيعيّة؛ بل كان شيعيًّا، وإنّ تشيّعه أتاه من قبل البرامكة الذين هم بدورهم شيعة، فقد تربّى عند جعفر البرمكي، وكانت أمّه فارسيّة، وإنّ يحيى بن خالد البرمكي اختار لخدمة المأمون

الفضل بن سهل الذي أسلم على يد المأمون نفسه سنة ١٩٠هـ، وتشيّع لمطمعٍ سياسيّ، وهو نصرة الفرس في خراسان(٣٨).

يذكر الطبري أنّ السبب الذي دعا المأمون لمبايعة الرضا؛ لأنّه لم يجد أحدًا أفضل؛ ولا أروع ولا أعلم منه في بني العباس وبني علي، وسمّاه الرضا من آل محمد(٣٩).

ينقل ابن طيفور (ت٢٨٠هـ) إشارات تفيد بميل المأمون إلى العلويّين؛ إذ يروى أنّ السندي بن شاهك قال للفضل بن الربيع (الوزير) بعد وصول المأمون بغداد (٢٠٤هـ): "خبر عجيب، قال: ما هو؟ قال: سمعته (المأمون) قدم علي بن أبي طالب على العباس بن عبد المطلب، وما ظننت أنّي أعيش حتى أسمع عباسيًا يقول هذا! فقال له الفضل: تعجب من هذا؟ هذا والله كان قول أبيه (الرشيد) قبله"(٤٠).

لقد ظلّ المأمون يدرس ويفكّر ويستعرض الرجال ثلاث سنين بقي فيها منصب وليّ العهد شاغرًا، والدولة مهدّدة بالفوضى الدمويّة إذا طرأ طارئ على حياة المأمون... وها هو المأمون يهديه الله إلى رجل الإنقاذ، إنّه علي بن موسى بن جعفر، إنّه الذي تتجمّع فيه كل صفات ما نطلق عليه في عصرنا الحاضر لقب رجل الدولة من إيمان، وسيرة نقيّة، وإرادةٍ صلبة، وعزم، وحزمٍ، وعلمٍ،...

هنا تتجلّى حقيقتان؛ الأولى: عظمة عليّ الرضا، عظمته لا بوصفه إمامًا فقط تُتلقّى عنه تعاليم الدين، فيفيض علمًا وتقًى وهدايةً وصلاحًا؛ بل عظمته أيضًا كونه إنسانًا؛ إنسانًا تجتمع فيه قوّة القيادة الشعبيّة، وقوّة القيادة السّياسيّة، وقوّة القيادة الإداريّة. والحقيقة الأخرى: إخلاص المأمون للأُمّة الإسلاميّة، فقد عرفنا الملوك يولون ولاية العهد لأولادهم مهما كان أمر هؤلاء الأولاد. أمّا المأمون فقد كان الأمر بيده، وكان وليّ عهده الطبيعي ولده العباس. ولكن الدولة تحتاج إلى رجل أقوى من العباس، فتجاوز المأمون ولده وضحّى به من أجل مصلحة الدولة ثمّ تجاوز إخوته بعد أن تجاوز ولده، تجاوز ولده وإخوته إلى مَن كان الكفي كل الكفي لقيادة الدولة في ما ينتظرها من زعازع(٤١).

أمّا ابن الطقطقى، فيقول عن المأمون: "ومن اختراعاته نقل الدولة من بني العباس إلى بني علي"، ويذكر السبب الذي دعا المأمون لذلك "كان المأمون فكر في حال الخلافة بعده

وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمّته كذا زعم"، كما أنّه وجد الرضا أفضل أعيان البيتين: العلويّ، والعباسيّ[٤٢].

أمّا السيوطي فيرى أنّ السبب الذي دفع المأمون إلى تولية الرضا ولاية العهد إفراطه في التشيُّع حتى إنه همَّ بخلع نفسه، وتفويض الأمر إليه[٤٣].

يُروى أنّ بني العباس قد اجتمعوا إلى زينب بنت سليمان[٤٤]؛ وسألوها أن تدخل على المأمون وتسأله الرجوع إلى لبس السواد وترك الخضرة للعلويّين؛ وقد تخوّفوا أن يجعل ولاية العهد بعد علي الرضا إلى ولده محمد الجواد، فلمّا دخلت عليه رحّب بقدومها وأكرمها، فقالت له: يا أمير المؤمنين، إنك على برّ أهلك من ولد أبي طالب والأمر في يدك أقدر منك على برّهم، والأمر في يد غيرك أو في أيديهم، فدع لباس الخضرة وعد إلى لباس أهلك ولا تطمعنّ أحداً في ما كان منك.

فقال لها: والله، يا عمة ما كلّمني أحد بكلام أوقع من كلامك في قلبي، ولا أقصد لما أردت، وأنا أحاكمهم إلى عقلك. فقالت: وما ذاك؟ قال: ألست تعلمين أنّ أبا بكر تولّى الخلافة بعد رسول الله فلم يولّ أحداً من بني هاشم شيئا، ثمّ تولاها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فكانا كذلك، لما تولّاها علي بن أبي طالب أقبل على بني هاشم فولّى عبد الله بن العباس البصرة وعبيد الله اليمن، وولّى معبداً مكة، والقثم بن العباس البحرين، ولم يترك أحداً ينتمي إلى العباس إلّا ولّاه، فكانت له هذه في أعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت..[٤٥].

استطاع الإمام علي الرضا عليه السلام بقبوله ولاية العهد أن ينهض بحركة لا نظير لها في تاريخ حياة الأئمة، حيث تمّ إيصال نداء التشيع إلى كلّ المسلمين، فاستفاد من هذه الفرصة. وكذلك، فإن مناظرات الإمام التي جرت بينه وبين جمع من العلماء في محضر المأمون، ورسالة جوامع الشريعة التي كتبها الإمام للفضل بن سهل، إضافة إلى القصائد الكثيرة التي نظمت في مدح الإمام. فعاد في زمانه ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام، وصار المحدّثون الشيعة ينشرون معارفهم..[٤٦].

يروي الرواة أنه دخل عليه بخراسان قوم من الصوفية فقالوا له": إنَّ أمير المؤمنين المأمون نظر في ما ولّاه الله من الأمر فرآكم أهل البيت أولى الناس بأن تؤمُّوا الناس، ونظر فيك من أهل البيت فرآك أولى النّاس بالنّاس، فرأى أن يردّ هذا الأمر إليك. والإمامة تحتاج

إلى مَن يأكل الجشب، ويلبس الخشن، ويركب الحمار، ويعود المريض".

قال الراوي: " وكان الرضا متكئًا فاستوى جالسًا ثم قال: كان يوسف نبيًّا يلبس أقبية الديباج المزرّرة بالذهب، ويجلس على مُتّكآت آل فرعون. ويحكم! إنما يُراد من الإمام قسطه وعدله إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز. إنّ الله تعالى لم يحرم لبوسًا، ولا مطعمًا، وتلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٤٧)(٤٨).

وقد حزن المأمون لفقدان الإمام الرضا عليه السلام، وشعر بعظم الخسارة التي أصابته لذا يقول أبو الحسن بن أبي عباد: رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسرًا في مبطنة بيضاء، وهو بين قائمتي النعش، يقول: إلى مَن أروح بعدك، يا أبا الحسن. وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كل يوم برغيف وملح، فيأكله، ثم انصرف في اليوم الرابع.(٤٩) وقد دفن الإمام الرضا في أرض طوس.

يقول ابن حبان، واصفًا الإمام الرضا عليه السلام "من سادات أهل البيت وعقلائهم، وجلّة الهاشميّين ونبلائهم.. وقبره مشهور يزار بجنب قبر الرشيد، قد زرته مرارًا كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلّا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبته مرارًا فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته، صلى الله عليه وعليهم أجمعين"(٥٠).

ولابُدّ من الإشارة إلى تلك الرسالة القيّمة والرائدة في الطب، التي اشتهرت باسم، "الرسالة الذهبيّة "ويُقال إنه كتبها للخليفة المأمون، وقد عُنيت في مجملها بشؤون حفظ صحّة البدن وتدبيره بالأغذية والأشربة والألبسة والأدوية الصالحة والفصد والحجامة والسواك والحمّام والنورة وغير ذلك(٥١) وقيل: إنّه أول كتاب دُوّن في الإسلام في علم الطب وحفظ صحة الأبدان. ولكونه أول ما كُتب في الطب في الإسلام قدّره المأمون، وأمر بكتابته بماء الذهب، وسمّاه بالذهبية(٥٢).

## هوامش البحث

(١) حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٥٢ ١٥٣ . وورد في معجم الأدباء، ج ١٧ ، ص ٣١٠، وحدّث الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعي، يقول: وذكر الأبيات.
وَوَرد في الانتقاء لأبي يوسف بن عبد البر، ص ٩٠: قال الربيع: حججت مع محمد بن إدريس الشافعي إلى مكة، فما كان يصعد شرفًا ولا يهبط واديًا إلا أنشأ، وذكر الأبيات.

(٢) المحصّب: موضع رمي الجمار من منى.

(٣) الخيف: غرّة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف جبل أبي قبيس، وبها سُمّي مسجد الخيف.

(٤) سحرًا: أي وقت السحر، وهو آخر الليل أو الثلث الأخير من اللّيل.

(٥) الثقلان: الجن والإنس.

(٦) محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦ م، ص٧٨.

(٧) ديوان الإمام الشافعي، ص ١٢١.

(٨) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٦ ، ص ٢٨.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تصحيح شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ ، ج ١٣، ص١٢٠.

(١٠) علي خان المدني، الدرجات الرفيعة، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران، ١٣٩٧ ه، ص ٣٢٥.

(١١) الجوهري، السقيفة وفدك، ص ٥٥.

(١٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٦، ص ١٧ ، ركب ردعه: أي خرّ صريعًا لوجهه على الأرض.

(١٣) محمد الألوسي، في التسنن والتشيع رؤية إسلامية معاصرة دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٨.

(١٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١ ، ص ٤٦.

(١٥) السيوطي، خصائص أمير المؤمنين، ج ٢، ص ٢٦٦.

(١٦) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص ١٥٣.

(١٧) محمد الحسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٧.

(١٨) عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥ ، ص ٤١٣.

(١٩) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ج٣، ٢١٨.

(٢٠) الجرجاني، معجم التعريفات، ص ١٢٧.

(٢١) لطف الله الصافي، رسالتان حول العصمة، منشورات دار القرآن، قم، إيران، ١٩٨٣م ، ص ٨٨.

(٢٢) محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الدولية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٨٦.
(٢٣) رجال الكشي، ج ٢، ص ٤٩١ ؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ج ٢، ص ٤٩١.
(٢٤) الآية: ١٠٨، الأنعام/٦.
(٢٥) ابن بابويه الصدوق، عيون أخبار الرضا، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٠ ، ج ١، ص ٣٠٤.
(٢٦) د. أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١ ، ص ٢٨٧.
(٢٧) الآية ١٠٨، الأنعام/٦.
(٢٨) الآية ١٠٨، الأنعام/٦.
(٢٩) حسن الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م ، ص٨٨.
(٣٠) الكليني، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٩هـ، ج٢، ص٦٣٧.
(٣١) الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٤١٢.
(٣٢) محمد باقر الصدر، أئمة أهل البيت عليهم السلام، ص4.٢٢
(٣٣) محمد باقر الصدر، بحث حول الولاية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٩م ، ص ٩٤.
(٣٤) الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص٦٤.
(٣٥) الهادي حمو، أضواء على الشيعة الإمامية، ص٤ ١٣
(٣٦) أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، أخبار أصبهان، طبع ليدن، ١٩٣١، ج١، ص١٣٨.
(٣٧) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٨٨.
(٣٨) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٤، ص١٦٧.
(٣٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠ ، ص٢٤٣.
(٤٠) ابن طيفور، كتاب بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتب الثقافة الإسلامية، ١٩٤٩ ، ص٧ ١.
(٤١) حسن الأمين، من نوافح خراسان حرم الإمام الرضا، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠١م ، ص ٢٧٥.
(٤٢) ابن الطقطقى، تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ ، ص ٢١٧ .
(٤٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩ ، ص٣٠٧.
(٤٤) زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، كانت من أفاضل النساء، وقد حدثت عن أبيها وهي أميرة عباسية من ذوات الرأي والفصاحة، وكان أبوها أمير البصرة وكان الخلفاء يجلُّونها ويقدمونها.
(٤٥) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٢١٠.
(٤٦) معهد الإمام الخميني)إعداد(، الحياة السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، معهد الإمام الخميني، كربلاء، العراق، ص٢٢٦.

(٤٧) الآية ٣٢، الأعراف/

(٤٨) الآبي، نثر الدرر، القاهرة، ١٩٨٠ ، ج ١،ص ٣٦٥

(٤٩) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٦ .

(٥٠) ابن عدي، كتاب الثقات، ج ٨، ص ٤٥٧.

(٥١) آقا بزرك الطهراني، الذريعة، طهران، ١٣٦٠ ه، ج ١٥ ، ص ١٤١.

(٥٢) آقا بزرك الطهراني، الذريعة، مصدر سابق، ج ١، ص٤٧.

## قائمة المصادر والمراجع

**إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.**


- ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن الطقطقى، تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- ابن طيفور، كتاب بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتب الثقافة الإسلامية، ١٩٤٩ م.
- ابن بابويه الصدوق، عيون أخبار الرضا، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ابن عدي، كتاب الثقات، دار الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠ هـ)، أخبار أصبهان، طبع ليدن، ١٩٣١ م.
- ـ، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧ ه.
- آقا بزرك الطهراني، الذريعة، طهران، ١٣٦٠ ه.
- الآبي، نثر الدرر، القاهرة، ١٩٨٠م.
- أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، علق عليه: خليل المنصور، مؤسسة العطار، قم، إيران، ١٤٢٩هـ./ دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- د. أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١م.

- الجوهري، السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الأميني، شركة الكتبي، بيروت، ١٩٩٣م.
- الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، ٢٠١١م.
- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، تقديم: حسين مؤنس، دار صادر، بيروت، ٢٠١١م.
- حسن الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م.
- حسن الأمين، من نوافح خراسان حرم الإمام الرضا، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠١م.
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تصحيح شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- رجال الكشي، منشورات جامعة مشهد، ١٣٤٨ه. ش رقم٩٣.
- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م.
- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت، ١٤١٣ هـ.
- الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق علي الأكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران،دون تاريخ.
- علي خان المدني، الدرجات الرفيعة، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران، ١٣٩٧هـ.
- عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.
- لطف الله الصافي، رسالتان حول العصمة، منشورات دار القرآن، قم، إيران، ١٩٨٣م.
- محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.
- المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٢م.
- المقدسي، البدء والتاريخ،باعتناء كلمان هوار، باريس ١٨٩٩م.
- محمد الألوسي، في التسنن والتشيع رؤية إسلامية معاصرة دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٢م.
- محمد الحسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٣م.

- محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الدولية، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- النسائي، خصائص أمير المؤمنين، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٨٧م.
- الكليني، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٩هـ.
- محمد باقر الصدر، أئمة أهل البيت عليهم السلام، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.
- محمد باقر الصدر، بحث حول الولاية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٩م.
- معهد الإمام الخميني (إعداد)، الحياة السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، معهد الإمام الخميني، كربلاء، العراق، دون تاريخ.
- الهادي حمو، أضواء على الشيعة الإمامية، دار التركي، دون تاريخ.
- ياقوت الحموي، في معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.